

أساترة الجيل :

أحمد تيمور باشا

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

د إك الصديق الكرم ، والمباحث المحقق ،
الدكتور محمد ساي الدهان ، وفاء بما وعدته من الإفاضة
... في الحديث عن أولئك الأساتذة الأمانيل الذين مهدوا
الطريق أمام هذا الجيل... .

تيمور ، بفتح التاء ، وبحقةها بمض الملاء بالكسر ، كلمة
تركية ينطقها الأتراك في لغتهم ديمير أو دمور ، ومعناها عندم
الحديد ، وكانت تستعمل لقب تمجيد في المملكة العثمانية ،
والولايات التابعة لها ، وبها لقب السيد محمد كاشف جد الأسرة
التيمورية ، وأول من وفد منهم إلى مصر ...
وأصل السيد محمد هذا من بلاد كردستان بولاية الموصل ،

ويذهب آل تيمور في إثبات نسبهم إلى أنهم من أصل صربي
اعتماداً على ما ذكره ابن الكلبى وابن خلكان ، من أن
نسب الأكراد ينتهى إلى عمر زريقيا بن عامر بن ماء السماء ،
أو ينتهى إلى عدنان كما ذكر بعض العلماء . على أن آل تيمور
ينهبون من ناحية أخرى إلى أن جدتهم زوجة السيد محمد
كاشف ، وهى السيدة عائشة الصديقية ، كانت كريمة السيد
عبد الرحمن الاستانبولى ، وهو كما يقولون شريف النسب ، صريح
العروبة ، كان يتولى الكتابة فى الديوان السلطاني للسلطان سليم
الثالث ، وكان السلطان يحبه ويقربه ويشق به ، فلما قتل السلطان
فرّ إلى مصر ، وعاش فى رعاية عمة زوجها محمد على باشا مكرماً إلى
آخر حياته ...

واقدم كان السيد كاشف جد الأسرة التيمورية من رجال
السيوف ، وقد جاء إلى مصر فى رفقة محمد على مع الجند الذين
أرسلهم السلطان لتثبيت سلطة الخلافة العثمانية على مصر بعد
خروج الفرنسيين منها واضطراب الأحوال فيها ، وقد كانت
بينه وبين محمد على فى أول أمرها صداقة ومودة . فلما تم الأمر

وقدم وعدنى بترقيتى فى الشهر القادم . قلت : ولكننا لا زلنا على
بمد ستة أشهر من الميزانية الجديدة ؟ قال : وما شأن الميزانية
الجديدة الآن ؟ قلت : لأن الترقية إنما تكون على درجات خالية
وقدم استنفدت المصلحة فى ترقيةها الأخيرة جميع ما لديها من
درجات . قال : كيف ، وقد وعدنى بما قلت لك ؟ قلت : لقد
خدعك . قال : هذا محال ؛ وخير لك أن تبشر ولا تنفر . قلت :
لقد أهدر من أهدر . قال : لا ، إنك تسمى بقولك هذا فى تشبيط
عمى ، ولا تودى خيراً ؛ إن المدير لا يكذب . قلت : شأنك
وما تريد . قال : الآن قد كشفت ما تقطوى عليه نفسك من
حسد لى ، وحقد على ، وكان أولى بك أن تفرح لفرحى . قلت :
لو أن هناك ما يستحق الفرح . فأنقلت زميل من الفرقة حانقاً
ولم أهدأرى وجهه . ثم مضى شهراً عقبه شهر آخر ، ثم تلتته شهر
أخرى وصاحبى لا يزال ينتظر الترقية الوعدة . ولكن هذا لم
يجل دون مجنبيه إياى ، ونشره بين زملائى أن فلاناً يكبره الخير
للناس ، ثم روايته القصة بصورة تؤيد ادعاءه . وما أفل المحققين
للأخبار !

دكتور

عبد العزيز برهام

الذين سأكون واحداً منهم ليس من اللياقة أن أحبس عنهم
حقيقة تروى ، فجمعت أطراف شجاعتي « وصححت » المعلومات
التي وصلتهم عنى . وما كنت أدري أنى بهذا القول قد بخت
فى نظرم من قدر تقسى ، فلم أكد أصل منزلى ، حتى لطق بي
رسولى ، والغضب ياد على وجهه ، وهو يصيح فى وجهى : لقد
أفقدت كل شيء ا قلت : ماذا ؟ قال : مالك وللحديث عن
أطيانك ؟ لماذا لا تتركهم فى ضلالتهم ؟ لقد اعتدروا من عدم
قبولك مهراً لهم ، وفهمت أن السبب هو أنك قلت لهم إنك
لا تملك شيئاً . أو ما كان الأحرى أن توره عليهم حتى ينتهى
كل شيء ؟ قلت : لا أستطيع . وإياك أن تقبل هذا مرة ثانية .
قلت : إذن فأعنى من هذه المهمة ووداعاً بصديق ا قلت : ووداعاً
* * *

وكنت ذات يوم منهمكاً فى عملى ، وقد قدرت للفراغ منه
ساعة من زمان ، وإذا زميل لى يقتحم على الباب ، والبشر يطرح
من وجهه ، ويقطع على سلسلة أفكارى ، وهو يندن بألفاظ لم
أفهم لها معنى . ثم قال : أما تهتلى ؟ قلت : بلى ، ماذا أصبت ؟
قال : كنت مع المدير الآن أحمل إليه « توصية » من فلان باشا

لمحمد علي باشا في الولاية على مصر ، قرب إليه صاحبه القديم ، وأخذ يعتمد عليه في تنفيذ خططه وتديرته ، وقد كان ساعده في سادته الفتك بالمليك في مأدبة القلعة ، كما كان عضده في إخماد ما كان من فتن وما قام من ثورات ، وكما أرسل محمد علي ابنه طوسون على رأس الحملة المصرية لحرب الوهابيين أرسل برقيقته السيد محمد ، فأبلى في هذه الحرب بلاء حسناً ، وكان أن عينه محمد علي كاشفاً على الشرقية ، وهو مثل عنصب المدير في هذه الأيام ، ومن ثمّ لزمه لقب كاشف وعرف به ، حتى إذا ما استقرت الأمور في الحجاز عينه والياً للروضة الشرقية ، فبقى هناك خمس سنوات ، ثم عاد إلى مصر ، وتخلّى عن الأعمال الرسمية ، ولكنه بقي مع محمد علي على حسن الصلة والمودة . وفي أواخر حياته انقطع للعبادة ، وعكف على الأخذ بأسباب الصلاح والتقوى حتى توفي عام ١٨٤٨ م وهو في حدود الثمانين من العمر ولم يترك من الخلف إلا ابنه إسماعيل .

لم يبنشأ إسماعيل على غرار والده ، ولم يكن له مثل غرامه بالجنديّة وأساليب النضال ، ولكنه نشأ من صغره وفي طبعه الميل إلى العلم والأدب ، وقد عنى والده بإشباع رغبته ، فأحضر له المعلمين في العلوم العربية والدينية ، وعهد إلى أحد رجال الترك الأفاضل بتعليمه اللغة التركية وآدابها ، ولقد كان هذا التعليم المنزلي للعلوم الإسلامية والآداب التركية هو المظهر السائد بين الأسر الكبيرة في مصر يومذاك ، إذ كانت روح الدولة إسلامية خالصة ، وكانت الصلة بين مصر وتركيا صلة خلطة ونسب ودين أكثر مما هي صلة حكم ، وكان رجال الحكومة كلهم أو جلهم من الأتراك ، وكانت الطبقة العالية تتكون من الأسر التركية التي وفدت على مصر فلكت الضياع والثروات والمناصب ، ومن ثمّ كانت اللغة التركية والآداب التركية لها مكانة كبيرة في نفوس الخاصة ، وكانت الأمرات الكبيرة تحرص عليها وتراها غاية الكمال في تثقيف أبنائهم وإعدادهم لمناصب الحكومة ودواوينها ، كما هو الشأن اليوم في الحرص على تعليم الإنجليزية والفرنسية .

برح إسماعيل في الإنشاء التركى ، وأخذ يحفظ وافر من الثقافة للتركية ، لهذا ولما كان من متانة الصلة بين والده وبين محمد علي باشا ، فقد شمله محمد علي بمطفه ، وأخذته كاتباً خاصاً له ،

ثم عينه وكيلاً لمديرية الشرقية التي كان والده كاشفاً عليها من قبل ، ثم زاد في العطف عليه فعينه مديراً ، وظل إسماعيل في هذا المنصب ينتقل من مديرية إلى أخرى . ولكن يظهر أن حياة الإدارة وما تقتضيه من الصرامة لم توافق طبعه الأدبي وإحساسه المرهف ، ولهذا سعى بنفسه عند محمد علي في التخلي عن هذا المنصب والعودة إلى الديوان فحقق له رغبته ... ولما تولى عباس باشا الأول عينه وكيلاً للديوان كتحفداً ، وكان أكبر ديوان في الحكومة المصرية ، وكان وكيله يعتبر أكبر رجال الدولة بعد الوالي ، فله الإشراف على جميع شئون الدولة مثل ما لرئيس الوزراء في هذه الأيام ، ومنصب كهذا يقتضى لا شك من صاحبه كثيراً من اليقظة والحذر ، ولكن إسماعيل كما قلنا كان صاحب طبع أدبي لا يستند في مثل هذا المركز السياسي ، ولهذا لم يلبث أن عزل من هذا المنصب بوشاية كاشح ، غير أن عباس باشا تبين حقيقة الأمر فأعاد ناظراً لخاسته . ولما تولى سعيد باشا أرجعه إلى الديوان كما كان من قبل ، ولكنه لم يلبث أن استقال لإهانة لحفته من الوالي ، وكان الرجل كان قد عاف الحياة الحكومية وشبع منها ، أو كأن ما أحاط به من ظروف اضطرت به إلى الخروج من الديوان الخديوي مرتين قد بغضه في تلك الحياة فظل بقية عهد سعيد وشرطاً كبيراً من عهد إسماعيل متمزلاً عن الناس ، عاكفاً على كتبه وتدير الأمور في أملاكه ، وجعل من داره نادياً للسمر وأذاكرة مع أهل العلم والأدب . وفي آخر حياته أنعم عليه إسماعيل باشا برتبة الباشوية ، واختاره ناظراً لخاسته ولى عهده توفيق باشا ، ولكنه توفي بعد ستة شهور من تولى هذه النظارة سنة ١٨٧٢م ولم ينجب إلا ابنتين كبيرهما السيدة عائشة عصمت تيمور الشاعرة المعروفة ، وابنا هو المنفور له أحمد تيمور باشا ، كما ترك خزائنه كتب تضم كثيراً من النوادر ، وخاصة في اللغة التركية وآدابها ، ولكنها ضاعت وبغرت ، ولم يبق منها إلا فهرسها ...

نشأ المنفور له أحمد تيمور يتيماً ، لم ير والده ، ولم يتمتع بمحنان الأبوة ، فقد ولد عام ١٨٧١ م ، أي قبل وفاة والده بعام واحد ، فتعهدته شقيقته الكبرى السيدة عائشة تيمور بالزهاية ، وتولته بالتثقيف ، والتعليم ، وكان الابن صورة ممتدة للأب في هدوء الطبع ، والميل إلى العلم ، والشغف بالقراءة ، فدرس العلوم

برح إسماعيل في الإنشاء التركى ، وأخذ يحفظ وافر من الثقافة للتركية ، لهذا ولما كان من متانة الصلة بين والده وبين محمد علي باشا ، فقد شمله محمد علي بمطفه ، وأخذته كاتباً خاصاً له ،

وأعلق بنفس أحمد تيمور ، وهو يعتبره أستاذه الذي قومه وثقفه وأخذ بيده إلى الطريق المستقيم ، وقد كتب تيمور باشا ترجمة مطولة لهذا الأستاذ الفاضل أورد فيها سبب اجتماعه به وتحدث عن مدى انتفاعه بمله وفضله فقال : « أما سبب اجتماعي به وقراءتي عليه ، فإني كنت خرجت من المدارس بعد تلقي ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا في سن العشرين ، وقد علق بالعقيدة شيء من آثار التربية بهذه المدارس ، إلا أنني كنت مولعاً من الصغر بالإسلام ومحاسنه والمطالعة في السيرة النبوية ، ومناقب الأصحاب والخلفاء الراشدين ، فكان ينشرح صدري لأشياء وينقبض من أشياء تمرض لي فيها شهوات ، ثم كنت أعرض ما يظهر لي من مكارم الشريعة ومقاصدها على ما عليه الناس من البدع والمحدثات التي تمسكوا بها وجعلوها من الأصول الدينية ، فأجد التصادم والتناقض ، فصررت أردد على كثير من كبار علماء الأزهر وغيرهم أملي أجد عندهم مفرجاً ، فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات حتى كدت أحكم بأنهم من الدين ، وأن الأمر دائر بين شيئين : فإما أن يكون الدين دين خرافات وخزعبلات تفر منها الطبايع السليمة ، وإما أن يكون ما نراه حقاً ، ولكن ينبغي من قبوله إلحاد تأصل في النفس ، حتى أرشدني بعض الأصحاب للمترجم ، فأخذت في السؤال عنه من أهل العلم ، فكانوا ينفرونني منه حتى بالغ بعضهم ورماه بالزندقة ، فقلت : إذا كنت لم أجد طلبتي عند من تسمونهم بالصالح والورع فلعلني أصيبها عند الزنادقة . ثم سميت في الاجتماع به ، وسألته القراءة عليه والاهتمام بهديه ، فقرأت عليه العلوم العربية والمفاتيح ، وأعدت عليه الصرف وعلوم البلاغة بتوسع ، ثم قرأت طرفاً من الحكمة . ولما رأيتي مجدداً في التحصيل قرر لي درساً ثانياً بعد المشاء كفاً تقرأ فيه كتب الأدب ونحوها . وكان من عادته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحاً للنفس ، فكان يسافر إلى ضيقتنا التي بقويسنا أو إلى حلوان حينما نسكن بها شتاء ، فكانت أفضى معه هذين اليوميين في مطالعة واشتغال ، حتى في حالة المشى والتنزه كنت أحمل الكتاب معي وأسمع فيه ، فيقرر لي المسائل ونحن سائران . . . فكان اجتماعي به ومصاحبتي إياه من أكبر نعم الله عليّ في ديني ، ولو لم يكن له على سوى تصحيح العقيدة وتأديبي بأداب الخليفة السمحة لكني

محمد فرهمي عبد اللطيف

د للحدث بنية »

الأولية على مدرسين خصوصيين بالمنزل ، ثم أخذ يدرس اللغة العربية على الشيخ رضوان محمد أحد العلماء المشهورين في ذلك العهد واللغة الفرنسية في مدرسة كليبر ثم على الأستاذ عبيد بك ، كما أخذ في دراسة التركية والفارسية . وكان يطعمه ميالا إلى الإفادة والتحصيل ، فنبغ في دراسة اللغات الأربع . وإذا كان أحمد تيمور لم يحضر عهد والده ولم يتمتع بتلك الندوة العامة التي كان يقيمها في بيته لمذاكرة العلماء ومسامرة الأدباء ، فإن الله قد هيا له من ذلك ندوة أحفل في دار ابن أخته محمود توفيق بك ، فكان يتردد عليها للإفادة . ومحدثنا تيمور باشا بطرف من أخبار هذه الندوة في الترجمة التي كتبها لصديقه محمد أنندي أكمل فيقول : « وكان أول التفتاني بالمترجم في دار ابن أختي محمود توفيق بك ، وهي إذ ذاك مجمع الأدباء وعظيمة رجال الفضلاء ، فلما رأيت استغربت شكاه واستملحت محاضراته ، ثم رأيت يناقش الأدباء ويطارحهم الشعر ، فدنوت منه وكنت صغيراً في أول الطلب ، وقد تعذر على فهم باب أفعال التفضيل ، وأجهدت نفسي في درسين متواليين على تفهمه ، فلم يفتح علي شيء فيه ، فسألته عنه فأوضح لي بمبارة سهلت علي فهمه ، فكان بعد ذلك كثيراً ما يقول لي ممازحاً : إذا ذكرت شيوذك فاذكري معهم ولا تنسي ... »

وهناك شيخان جليلان تلمذ عليهما أحمد تيمور ، وكان لهما أمد الأثر في توجيهه وفي ثقافته ، وكان رحمه الله يذكرهما داعماً بالإجلال والتبجيل ، أولهما العلامة اللغوي الشيخ محمد محمود الشنقيطي ، وثانيهما العلامة المنطق الشيخ حسن الطويل . أما الشنقيطي فقد كان تيمور باشا يقصد إليه في داره ، ويجلس أمامه لتلقى الدرس ، وكان الوقت يطول به وهو مترجع على الأرض ، فكان حينها يشر بالمد ويريد أن يبذل رجلاً بأخرى يقول الشنقيطي له : لا تتألم يا أحمد ، فقد كنا نقطع بالراحة شهوراً وراء البحث والاستقصاء عن مسألة علمية . ويحكي تيمور باشا عن نفسه فيقول : وأشار علي مرة أستاذنا العلامة الشنقيطي أن أطالع أمالي أبي علي القالي مطالعة إيمان وتدبر ، ولم تكن طبعت بعد ، فاستفدت منها كراريس عكفت على مطالعتها ، واحتجبت عن الناس بضعة أيام ، حتى استوفيت ما بهذه الكراريس ...

وأما الشيخ حسن الطويل فيظهر أنه كان أشد خلطة